

**نماذج من منهج القرآن الكريم
في وسائل التربية والتعليم
دراسة قرآنية تربوية**

د. قيس جليل كريم الخفاجي

جامعة الأنبار كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيد المعلمين, وقادة العالمين, سيدنا محمد الأمين, وآله الطيبين الطاهرين, وصحابته أجمعين , وبعد :فإن المنهج القويم في أساليب التربية والتعليم هو أساس تطور الأمم ورفيها, وسبيل سعادتها, وذلك عندما يرتبط بدين قويم ونهج سليم, وحين يفصل عن الدين يكون في الغالب سبب دمار وشقاء, وتخريب وإراقة دماء, والعالم الاسلامي اليوم بالرغم من تنوع العلوم فيه وتعددتها إلا أنه يعاني من أزمة حادة في التعليم, لا سيما بلدنا الجريح الذي يعيش الآن وضع لا يحسد عليه سياسياً, وعسكرياً, واقتصادياً, وغير ذلك من الازمات التي أثرت سلباً على العملية التعليمية والتربوية, فتخلف بعد أن كان حاملاً لواء العلم والمعرفة قروناً من الزمان, كل ذلك سببه ابتعادنا عن المنهج القرآني. ونرى تقدم الغرب في شتى العلوم؛ لانهم بذلوا في سبيل ذلك مبالغ باهظة, فاستقدموا الكفاءات والخبرات والعقول, وسيطروا على العالم, وبقي العالم الاسلامي يعجز في أزمته التعليمية, وأخذت تتفاقم أزمته يوماً بعد يوم, الأمر الذي حفزني في كتابة بحث حول هذا الموضوع, مستمداً من المنهج القرآني الذي به كانت أمتنا الاسلامية عالية وتهابها جميع الأمم. وكان منهجي في البحث اختيار نماذج من القرآن الكريم تعيننا على الفهم الصحيح للتعليم العملي, وكانت خطتي في هذا البحث بعد المقدمة تمهيد, ومبحثين وخاتمة وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول : الوسائل التعليمية الإرشادية, وفيه مطلبان :

المطلب الأول : قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - في جعل السقاية في رحل أخيه .

المطلب الثاني : قصة سيدنا موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح .

المبحث الثاني : الوسائل التعليمية الإثباتية - النظرية - وفيه مطلبان :

المطلب الأول : قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها .

المطلب الثاني : طلب سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ! . اما الخاتمة فأوجزت فيها خلاصة البحث وأهم النتائج التي توصلت إليها, وكان جل اعتمادي في المصادر على كتب التفسير باختلاف مضمونها, فضلاً عن الكتب الأخرى التي يُنتفع منها في شتى مجالات العلوم لاقتف على لمسة أو اشارة أو ايضاح, هذا واسأله تعالى أن يقبل العثرة ويزيل الزلل, وأن يسدد الخطى ويلهمني الصواب ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۚ فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [سورة الطلاق: ٣] . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

تمهيد :

عند النظر في سور القرآن الكريم , يظهر ان القرآن الكريم يقدم صوراً من التعليم العملي, وهذا التعليم الذي له وجود متحقق في الخارج ظهر على نحوٍ من الطرق أو الوسائل التي يصل بها الحدث إلى غايته المطلوبة, وهذا ما نحتاجه اليوم في بلادنا وبخاصة في المدارس والجامعات, وقد أرشدنا القرآن الكريم بنوعين من الوسائل التعليمية وهي:

١. وسيلة تعليمية إرشادية : وهي وسيلة تعليمية يستخدمها المعلم سواء كانت في المدارس أو الجامعات أو دور العبادة, يستطيع من خلالها لفت النظر اليه .

٢. وسيلة تعليمية نظرية : وهي وسيلة تعليمية أخرى مكتملة للأولى يستطيع المعلم من خلالها أن يثبت للمتعلم أو المخاطب بالبرهان أو الدليل الملموس على شيء أراده ان يوصله للمتعلم, ربما كان يعتقد خلافه, وهذه الوسيلة التعليمية مهمة في مجالات التعليم, أرشدنا الله تعالى اليها لاقتناع الآخرين .

وهذا البحث يتناول هذين النوعين من الوسائل التربوية .

إن القرآن الكريم يعرض وسائل تعليمية كثيرة, وهي تهدف إلى إرشاد المخاطب وتوجيهه للتصرف الصحيح, أو ترشده إلى ترك عمل أو تصرف غير مرغوب به, وحين يعرض القرآن الكريم هذه الوسائل التعليمية فإنها تتمكن في النفس؛ لأنها اتخذت طابعاً عملياً يلمسه الإنسان في حياته, ويشعر به في حيز الزمان والمكان الذي يعيش فيه هذا الإنسان .

المبحث الأول : الوسائل التعليمية الإرشادية , وفيه مطلبان :

المطلب الأول: قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - في جعل السقاية في رحل أخيه. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُقْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ . في هذا الموقف يستخدم سيدنا يوسف - عليه السلام - أسلوباً ذكياً من باب الحيلة العملية ؛ ليستبقي أخاه بنيامين عنده . قال الدكتور فضل حسن عباس : " وقد يسأل سائل: كيف يتأتى ليوسف - عليه السلام - أن يفعل مثل هذا؟ وأقول: إن يوسف - عليه السلام - نبي وما فعله إلا لحكمة وليس فعله ظلم لأحد ولا انتقاص من أحد." (١) عندما وضع يوسف - عليه السلام - السقاية في رحل أخيه استطاع أن يبقي أخاه بنيامين عنده ريثما يذهب أخوته إلى والدهم لإخباره بالأمر ؛ لعلهم يتفكرون في هذا الشأن ولماذا احتجز العزيز أخيههم، وهذا التفكير ربما يوصلهم إلى شخصية العزيز، فيعرفوا ان له صلة بهم، وهذا ما أحس به يعقوب - عليه السلام - (٢) ﴿ بِنَجْوَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٤﴾ وهذا عين ما قصده يوسف - عليه السلام - عندما جعل أخوته يكتشفون ذلك فيما بعد ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا كُنَّا لِلَّهِ أَعْيُنًا عَدَاؤُنَا لِيُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَبَصِيرٍ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥﴾ وهذه من الوسائل التعليمية الإرشادية، تنبه أخوت يوسف إلى أمر حصل معهم فيما مضى؛ حيث اخذوا يوسف - عليه السلام - والقوه في غيابة الجب (١) . وهنا وفي هذا الموقف جعل يوسف - عليه السلام - السقاية الذي يشرب به الملك في رحل أخيه بنيامين (٧) . نقل الامام البغوي عن كعب قوله: " لما قال له يوسف: أي أنا أخوك، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال له يوسف: قد علمت اغتنام والدي بي وإذا حبستك أزداد غمه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وانسبك إلى ما لا يحل، قال: لا ابالي فافعل ما بدا لك فإني لا أفارقك، قال: فإني أؤس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليهيأ لي رذك بعد تسريحك، قال: فافعل كما تريد" (٨) . لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ . ثم نوذي أن هناك حصلت في المدينة، وهي سرقة صواع الملك، وجرى البحث بأوعية الاخوة لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿١٠﴾ أي أخوة يوسف - عليه السلام - ونُقب عن صواع الملك الذي سرق، ثم عثر عليه اخيراً في رحل الاخ الاصغر، وبهذه الطريقة استطاع يوسف - عليه السلام - من ابقاء أخاه عنده (١١) . ولا نريد أن نخوض بجميع تفاصيل هذه القصة، لكن الذي يهمنا هنا هو ارتباط هذه الوسيلة العملية بهدفها. ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿١٢﴾ . والكيد التدبير الحكيم ، وقد نسب الكيد والتدبير إلى الله تعالى اشارة إلى رعايته ولطفه ليوسف - عليه السلام - وانه بهذا التدبير بلغ ما بلغ من منازل العزة والسيادة (١٣) . ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ قال الامام البيضاوي: " ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك، ملك مصر؛ لأن دينه الضرب وتفريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد" (١٤) . لكن كانت شريعة يعقوب - عليه السلام - في السارق هي الاسترقاق والعبودية، فلم يكن يتمكن بما صنعه من أخذ أخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أي ان هذا الامر كله تدبير الله تعالى ومشيئته (١٥) . وهذه الحيلة التي استعملها سيدنا يوسف - عليه السلام - تسمى عند علماء الفقه والأصول حياً شرعية . يقول ابن العربي: " فيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل، إذا لم تخالف شريعة ولا هدمت أصلاً" (١٦) . والحيل الشرعية هي : التوصل المباح واستخراج الحقوق بالطرق الخفية (١٧) .

وهذه الصورة العملية التي قام بها سيدنا يوسف - عليه السلام - تحتوي على ما يأتي :

- ١ . ما قام به سيدنا يوسف - عليه السلام - وسيلة تعليمية عملية يهدف منها إلى تحقيق الغرض المطلوب، ومن هنا فإن الوسيلة التعليمية ينبغي أن ننظر إلى تحقيق هدف محمود يتوخى من الفائدة التي تصلح للمجتمع، لا أن تخالف الأدب أو تتقاطع مع الحق .
- ٢ . وكذلك تنبيه العقول وتحريك الفكر وإرشادها إلى الصواب، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه الوسيلة التعليمية .
- ٣ . مر سيدنا يوسف - عليه السلام - بأحوال مختلفة في حياته فمن ضيق في غيابة الجب إلى غيابة السجن، ثم إلى ملك يأمر فيطاع، كل هذه الأحوال لم تغير من جوهره شيء، فلم يضعفه الابتلاء، ولم تطغيه النعماء (١٨) . وهذا ما نحتاجه من القضايا العلمية، والقيم الأخلاقية، والاشارات النفسية النفيسة التي نستلهم منها العبر والعضات .

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٣﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٤﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَأْذِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٦٥﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٦٨﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي فَدَ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧١﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنَّى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأُ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنِيكَ بِئَاوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٣﴾ . جاء في صحيح البخاري ومسلم عن سيدنا محمد ﷺ

" أن موسى وقف خطيباً في بني إسرائيل . فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا . فعتب الله عليه لأنه لم يرجع العلم إليه سبحانه" (٢٠) . نجد القصة تتحدث عن شخصيات وأحداث، أما الشخصيات الرئيسية هي: موسى، وقناه، والعبد الصالح، والأحداث الجوهرية في القصة هي: خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار (٢١) . طلب سيدنا موسى - عليه السلام - من العبد الصالح أن يصحبه معه ليتعلم منه مما أتاه الله تعالى، وافق العبد الصالح لكن بشرط أن يصمت ولا يسأل عن شيء حتى يحدث له علماً وذكرًا، وأول أمر صنعه العبد الصالح هو: خرق السفينة التي كانت لمساكين، فيصرخ سيدنا موسى في وجه استاذة قائلاً: {أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً} فهذه ليست من أعمال العقلاء، ولا أهل الصلاح والتقوى، أنه عدوان على الأبرياء . ويتلقى العبد الصالح سيدنا الخضر - عليه السلام - هذه الثورة المتوقعة من موسى في رفق ولطف، فلا يزيد على أن يقول له: {ألم أقل أنك لن تستطيع معي صبراً} ، أنسيت الشرط الذي بيننا يا موسى، وهنا ينتبه موسى - عليه السلام - فيقول مغتذراً في أدب كريم، {لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً} (٢٢) . قال الزمخشري: "أراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذه على الناسي" (٢٣) . إما الأمر الثاني الذي فعله العبد الصالح، {فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله} ، وهذه فعلة أشد من سابقتها وقعا، إذا كانت الأولى في متاع من متاع الدنيا، واحتمال غرق من فيها، فهذه قتل نفس وأي نفس طفل بريء لم يبلغ الحلم، قتل عمد لا مجرد احتمال، فهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده قال: {أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً}، هكذا يلقي في وجه استاذة بهذا الاتهام الصريح، وهنا يأخذ الاستاذ تلميذه بشيء من الشدة، والتأنيب فيقول: {ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبراً} ففي كلمة {لك} نخسة قوية، وهنا يجد موسى أمام هذا البعد البعيد أن لسانه أداة غير قادرة على سد هذه الثغرات الهائلة بينهما فيقول: {إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدي عذراً} (٢٤) . وإما الأمر الثالث للعبد الصالح {فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعنا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدنا فيها جدار يريد أن ينقض فأقامه}، وصل العبد الصالح مع موسى إلى قرية التي ماتت فيها كل مشاعر الإنسانية وذهبت منها كل معاني المروءة، ومع هذا وجدان مكان خرب، لا يأوي إليها إلا الهوام، فيجلسان ليجدا فيها من السكن ما لم يجدها عند أهلها (٢٥) ، ثم يريان فيها جدار يريد أن ينقض، يريد أن يتصدع بنيانه وكاد يهوي إلى الأرض، ثم يستجمع العبد الصالح قواه فيعيد بناءه، ويرى موسى هذا فيتعجب ويدهش، ثم لا يملك أن يحتفظ في صدره مشاعر الغيظ والألم، فيقول لصاحبه: {لو شئت لاتخذت عليه أجراً}، أنه اعتراض من موسى؛ لأنه رأى لؤم القوم وخسنتهم فلماذا نعمل لهم مثل هذا العمل دون أجره؟ وكانت هي الفاصلة، لذلك قال العبد الصالح: {هذا فراق بيني وبينك} (٢٦) ، ولكن قبل الفراق {سأبينك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً} ، فأخبره أن السفينة كانت معرضة لأن يأخذها ملك خاصب من عادته أخذ السفن الصالحة، فخرقتها ليرغب عنها، وإما الغلام فكان من شأنه أنه سيرهق أهله طغياناً وكفراً، وأما الجدار فكان ليتيمين في المدينة، وكان أبوهما صالحاً، وتحت هذا الجدار كنز، الهدف منه إبقاء الجدار صالحاً إلى حين أن يكبر فيه هذا الغلامان فيستخرجا كنزهما . ثم قال العبد الصالح: ﴿ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذِكِّكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (٢٧) ، ونسب كل هذه الأعمال لله تعالى (٢٨) . وهذه وسائل تعليمية إرشادية بين معلم مرشد ومتعلم متلقي، ويمكن أن نجمل هذه الفوائد بما يأتي:

- ١ . بينت هذه التجربة التعليمية في الآيات الكريمة أن فوق كل ذي علم عليم، وأن الخبرة متفاوتة، وأنه قد يطلع المفضل على ما لم يطلع الفاضل، وأن ترقى البشر في سلم التعليم والمعارف سنة إلهية ينكشف بعضها لبعض دون غيرهم .
- ٢ . قال البيضاوي : ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى أنكار ما لم يستحسنه، وأن يداوم على التعلم، ويتذلل للمعلم، ويراعي الأدب في المقابل (٢٩) .

٣. أن يبين المعلم المنهج الذي يتبعه وأن يبينه للمتعلم، وهذا ما كان من العبد الصالح لموسى - عليه السلام - وهو أن يتحلى بالصبر، وأن يلتزم الصمت، وأن لا يستعجل الأمور قبل أن يأتي أوان بيانها^(٣٠).

المبحث الثاني: الوسائل التعليمية الإثباتية - النظرية - وفيه مطلبان :

يقدم القرآن الكريم بعض الوسائل التعليمية في مقام البرهان والأدب على قضية يكون لها أثر كبير في نفوس المخاطبين، وبالبرهان يتضح المقال ويرسخ رسوخاً أكيداً وسأتناول في هذا المبحث قضيتين جاءت في القرآن الكريم كإثبات ودليل على قضية معينة .

المطلب الأول قصة الرجل الذي مر على القرية وهي خاوية على عروشها :

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَيْسْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣١﴾ . رجل شاب مر على قرية^(٣٢)، وهي خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، وأول ما خلق الله منه عيناه، فجعل ينظر إلى عظمه تتضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً، ونفخ فيها الروح. قال الحسن: قبضه الله أول النهار، وبعثه الله آخر النهار بعد مائة سنة، ونودي من السماء: كم لبثت؟ فقال: لبثت يوماً، ثم نظر فرأى بقية من الشمس، فقال: أو بعض يوم^(٣٣). رجل مؤمن بالله، وهو يريد أن يستوثق لإيمانه، ويطلب له المزيد من الأدلة والشواهد، وليس هذا بالذي يضير المؤمن أو يجور على إيمانه، مادام حريصاً على طلب الحق، مجتهداً في السعي إليه، والبحث عنه، فإنه بهذه النية المخلصة سيجد العون والتوفيق من الله^(٣٤). يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ اللَّهُ وَرِثَةُ الْزَيْتِ ءَأَمْنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(٣٥). وفي قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ما يكشف عن مشاعر هذا المؤمن بالله، حين مرّ بقرية قد اندثرت معالمها، وخدمت الحياة فيها، فتمثل له إنها رحلة طويلة في عالم ما بعد الحياة، استغرقت مئة عام قطعها الرجل وأشياؤه مع القرية في مسيرتها.. وصحا الرجل بعدها، فوجد من يسأله من قبل الله، على لسان هاتف يهتف به: {كم لبثت} في نومتك تلك؟ وما حسب أنه طوى هذا الزمن الطويل في هذا النوم الثقيل، فقال: {لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} ذلك ما وقع في تقديره، لكن بعد أن فتح عينيه ورأى سير الزمن وأثره فيها.. فلما قيل له: {لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ} فرح، وكره، وجهد أن يستحضر وجوده كله، ويقظته كلها، ليعلم أهو في يقظة أم منام.. وصحا الرجل صحو مشرقة، فرأى الأمر على ما أخبر به.

وهتف به هاتف الحق: أن انظر إلى طعامك وشرابك، إنه على ما هو عليه لم يدخل عليه فساد، بل ما زال طيباً هنيئاً {لم يتسنه} أي لم تغيره السنون {وانظر إلى حمارك} إنه ما زال قائماً إلى جوارك على عهدك به، ثم دعى إلى أن ينظر نظراً أعمق وأشمل، إذ قيل له: {وانظر إلى العظام كيف نُشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا} ونشر العظام هو بروزها من بين أخلاط الجنين^(٣٦)، وفي النظر تتكشف عملية الخلق، وبعث الإنسان من عدم، كما يقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾^(٣٧). فالذي أوجد الحياة من موت، قادر على أن يرد هذه الحياة إلى موت، كما أنه قادر على أن يعيد الحياة إلى هذا الموت^(٣٨).. ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾^(٣٩). وتتجلى هذه التجربة المثيرة عن إيمان عميق بقدرة الله، يملأ كيان الرجل كله، وتندفع به غيوم الشك من صدره، ويوزل دخان الريب من قلبه^(٤٠). {قلما تبيين له} قال أعلم أن الله على كل شيء قدير {فهذا تصديق لما كان يعلمه من قبل، وليس إنشاء لعلم جديد. ولكن شتان بين علم وعلم، وإيمان وإيمان} ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾^(٤١). دلت هذه التجربة الحية على بيان آية من آيات الله تعالى في البعث بعد الموت وهو مشهد حقيقي عاشه الرجل في نفسه، وفي الأشياء التي بين يديه، الرجل، وحماره، وطعامه، وشرايه، وذلك يمثل الإنسان، والحيوان، والطعام، والماء، أنها صور مصغرة للقرية بكل مشخصاتها، التي يدخل عليها الفساد والانحلال مع الزمن.

ويمكن أن نجمل هذه الوسيلة العملية لهذا الرجل بما يلي :

١. هي جواب عقب تساؤل، حيث طال زمن إجابته إلى غرضه {فأماته الله} والفاء هنا تعقيبية .
٢. مادة وسائل التعليم موجودة عند الرجل، وهذا يكون أوقع عند السائل .
٣. الرؤية البصرية والمعاناة لتنفيذ الوسيلة .

٤. تعميم الحكم الناتج عن هذه الوسيلة الإثباتية {ولنجعلك آية للناس}. وبذلك تكون الوسيلة التعليمية كما قرر القرآن الكريم ينبغي أن تكون مجيبة عن التساؤل المقصود ابتداءً، وأن تكون في وقتها، وأن تتوفر لها الأداة، وأن يكون عامل الزمن فيها مؤثراً، وأن تكون محسوسة؛ لأن الحس يقوي الحكم. وكل هذه الوسائل نافعة ومؤثرة في العملية التعليمية.

المطلب الثاني: طلب سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى :

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أُولَمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٢﴾. في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عما كان من شأن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - الموقن بالبعث والحشر، وقد طلب من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، وهو يعلم بقدرته الله تعالى على ذلك، ولكنه كان ينشد اطمئنان الأنس إلى رؤية يد الله تعمل وهو يجلي ويكشف له هذه التجربة، وأن الله يعلم إيمان عبد وخليه، ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وبيانه، والتلطف مع عبده الأواه الحليم المنيب، وهذا كما قلت في قصة عزيز انها لا تنقص من إيمان العبد، إذ كانت غايته طلب المزيد من النور، والجديد من العلم، فذلك طريق لا نهاية له، ولا ضلالة فيه^(٤٢)، وقد استجاب الله لهذا الشوق ومنحه التجربة الذاتية المباشرة فقال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴿٤٣﴾، إذا هذه تجربة نظرية سيقوم بها سيدنا إبراهيم بنفسه، ويصنعها بيده، ويشهد أثارها بعينه، والتجربة مرت بمراحل هي:

أولاً: أن يأخذ أربعة من الطير^(٤٤).

ثانياً: أن يضمها إليه، ويتعرف عليها، ويجعل لكل منها سمة خاصة يدعوها بها، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: {فصرهن إليك}، أي تألفهن إليك.

ثالثاً: أن يقطعهن قطعاً، ويمزقهن أشلاءً .

رابعاً: أن يوزع أشلاءها على رؤوس الجبال.

خامساً: يدعوها إليه بأسمائها، كما يدعو أهله ومعارفه بأسمائهم .

وبهذا تتم التجربة، وتجيء الطيور الأربعة مسرعة، فتمت هذه التجربة على هذا التدبير والتقدير^(٤٥) .

ويمكن أن نستخلص هذه التجربة العملية بما يأتي :

١. أن المؤمن لابد من زيادة إيمانه بالطاعة، وكذلك المعلم والمتعلم لا يقف عند حد معين بل لابد من زيادة علمه بطلبه إياه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِنْتُمْ مِّنَ الْعَالَمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾.

٢. هذا درس للمتعلم بأن يسأل عن أي شيء يقوي علمه، وهذه من الوسائل التعليمية المهمة .

٣. السؤال يكون عاماً والجواب أنموذجاً، فالسؤال عن كيفية إحياء الموتى بشكل عام، والجواب أنموذج يقاس عليه، ففي العملية التعليمية قد يكون النموذج صالحاً لأن يعمم على جميع النماذج الأخرى. فالطير هنا أنموذج لنوع من الأدوات تفرقت على أربعة أجبل، نقل ابن عطية عن قتادة والربيع: والمعنى: كما بعث الله تعالى هذا الطير من هذه الجبال، فكذلك يبعث الخلق يوم القيامة من أرباع الدنيا وجميع أقطارها^(٤٧).

٤. تحديد النموذج لحكمة وهدف فاختيار الطير دون غيره لسبب، قال البيضاوي: " خص الطير؛ لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان"^(٤٨).

٥. لا بد من مراعاة ترتيب الأحوال في تنفيذ الوسيلة التعليمية، فإن إحضار الطير ثم إمالتها إليه، ثم تقطيعهن، ثم توزيعهن على الجبال، ثم دعوتهن للإتيان، كل هذا يفيد أن الوسائل التعليمية لا بد لها من خطوات عملية دقيقة مرتبة ترتيباً منطقياً، تؤدي نتائج منطقية.

الذاتة وأهم النتائج :

الحمد لله الذي تتم بذكره الصالحات، المتفضل بالتمام، والصلاة والسلام على من جاء بالدين التمام، وعلى آله وأصحابه الكرام. فإنه لا توفيق بعد توفيق الله، ولا تيسير بعد تيسيره فقد أنعم الله تعالى بإتمام هذا البحث ، وأن لي أن اسطر أهم ما وصلت إليه من نتائج فأقول وبالله التوفيق :

١. قدم القرآن الكريم صوراً من التعليم العملي، وهذه الصورة يمكن الاستفادة منها في العملية التعليمية، كي توتي ثمارها، كيف لا وهي

تتهل هذه الصور التعليمية من القرآن الكريم .

٢. الوسائل التعليمية التي ظهرت في هذا البحث على نوعين:

أ. وسائل تعليمية إرشادية, عن طريق لفت المعلم أنظار الطلبة اليه.

ب - وسيلة تعليمية نظرية, عن طريق توصيل المعلومة بالبرهان والدليل .

٣. القرآن الكريم منهل مهم للوسيلة التعليمية, لا بد من الرجوع عليها؛ لأنه يرسم عدة جوانب منها :

أ - يربط الوسيلة التعليمية بهدفها وغايتها .

ب - يقرب الفكرة إلى الأذهان بأسلوب مقنع .

ج - ينوع في الوسائل التعليمية تبعاً للموضوع, وتبعاً لوسائل الاقناع والارشاد المختلفة .

٤. هناك فوائد وحقائق تظهر من خلال الوسيلة التعليمية بنوعها الارشادي والنظري منها قوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

[يوسف: ٧٦] , وأن الخبرة البشرية تتفاوت في المعرفة, وان ترقى البشر في سلم التعليم والمعارف هي سُنَّة الهية .

الهوامش

(١) سورة يوسف : ٧٠ - ٧٦ .

(٢) قصص القرآن الكريم : ٤٣٧ .

(٣) ينظر : تفسير القرطبي ٢٥٢/٩ , وتفسير البيضاوي ١٧٤/٣ .

(٤) سورة يوسف : ٨٧ .

(٥) سورة يوسف : ٨٩ - ٩٠ .

(٦) ينظر : تفسير البغوي ٤٧٨ /٣ , وتفسير الرازي ٤٣٤/١٨ .

(٧) ينظر : نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم : ٥٣٤٥/١١ .

(٨) تفسير البغوي : ٥٠٤/٢ .

(٩) سورة يوسف : ٦٩ .

(١٠) سورة يوسف : ٧١ .

(١١) دعوة الرسل عليهم السلام : ٢٠٢ .

(١٢) سورة يوسف : من الآية ٧٦ .

(١٣) التفسير القرآني للقرآن ٢٦/٧ , وينظر : التحرير والتنوير ٣١/١٣ .

(١٤) تفسير البيضاوي : ١٧٢/٣ .

(١٥) ينظر : تفسير الرازي : ٤٨٩/١٨ , وتفسير أبي السعود ٢٩٧/٤ .

(١٦) احكام القرآن لابن العربي : ١٨٩/٣ .

(١٧) ينظر: المصدر نفسه , وإعلام الموقعين عن رب العالمين, لابن القيم : ١٨٩/٣ .

(١٨) ينظر : قصص القرآن الكريم, لفضل حسن عباس : ٤٤٦ .

(١٩) سورة الكهف : ٦٦ - ٧٨ .

(٢٠) صحيح البخاري, كتاب الأنبياء, باب حديث الخضر مع موسى - عليهما السلام - : ٤ / ١٥٤ رقم (٣٤٠١) . صحيح مسلم, كتاب

الفضائل, باب من فضائل الخضر - عليه السلام - : ٤ / ١٨٤٧ رقم (١٧٠) .

(٢١) ينظر : قصص القرآن الكريم, لفضل حسن عباس : ٦٠٧ .

(٢٢) ينظر : التفسير القرآني للقرآن : ٦٥٤/٨ .

(٢٣) تفسير الكشاف : ٧٣٥/٢ .

(٢٤) ينظر : في ضلال القرآن : ٣٢٨١/٤ , والتفسير القرآني للقرآن : ٦٥٥/٨ , وتفسير الشعراوي : ٨٩٦١/١٤ .

- (٢٥) ينظر : التفسير القرآني للقرآن : ٦٥٥/٨ .
- (٢٦) ينظر : تفسير الرازي : ٤٨٩/٢١ , وروح المعاني : ٣٤٤/٨ , والتفسير القرآني للقرآن ٦٥٦/٨ .
- (٢٧) سورة الكهف : من الآية ٨٢ .
- (٢٨) ينظر : التفسير الوسيط: ١٦٠/٣ , وزاد المسير : ١٠٣/٣ , وتفسير الخازن: ١٧٤/٣ .
- (٢٩) تفسير البيضاوي : ٢٩١/٣ .
- (٣٠) ينظر : قصص القرآن , لفضل عباس : ٦١٠ .
- (٣١) سورة البقرة : ٢٩٥ .
- (٣٢) اختلف المفسرون في أسم هذا الرجل وأصح الاقوال والله أعلم أنه عزيز . وهناك كلام لطيف للإمام الشعراوي بهذا الصدد إذ يقول : "إنه إذا أبهم الحق فمعناه: لا تشخص الأمر". تفسير الشعراوي ١١٣١/٢
- (٣٣) ينظر : زاد المسير : ٢٣٣/١ .
- (٣٤) التفسير القرآني للقرآن : ٣٢٥/٢ .
- (٣٥) سورة البقرة : آية ٢٧٥
- (٣٦) ينظر : الصحاح ٨٩٨/٣ مادة (نشز) , وروح المعاني : ٢٣/٢ .
- (٣٧) سورة مريم : ٦٧ .
- (٣٨) ينظر : تفسير السمعاني ٢٦٣/١ , وقصص الأنبياء, لابن كثير ٣٣٧/٢ , وموارد الضمان لدروس الزمان ٣٠٢/٤ , ومناهج التربية أسسها وتطبيقاتها : ٢٤٧ .
- (٣٩) سورة الانبياء : ١٠٤ .
- (٤٠) ينظر : التفسير القرآني للقرآن : ٣٢٥/٢ .
- (٤١) سورة مريم : ٧٦ .
- (٤٢) سورة البقرة : ٢٦٠ .
- (٤٣) ينظر : في ضلال القرآن ٣٠٢/١ , والتفسير القرآني للقرآن ٢٣١/٢ .
- (٤٤) اختلف المفسرون بأنواع هذه الطيور, فقيل: ديك, وغراب, وطاووس, وحمامة , مختلفة اجناسها وألوانها. ينظر: تفسير الطبري ٤٩٥/٥ , وتفسير ابن كثير ٦٨٩/١ .
- (٤٥) ينظر : تفسير ابن كثير ٦٩٠/١ , وفي ضلال القرآن ٣٠٣/١ , والتفسير القرآني للقرآن ٢٣١/٢ .
- (٤٦) سورة الإسراء : من الآية ٨٥ .
- (٤٧) المحرر الوجيز ٣٥٥/١ .
- (٤٨) تفسير البيضاوي ١٥٧/١ .